ووفاءٌ إذا أجرت فما غـ ـ ـت حبالٌ وصلتها بحبال[١]

أريحيٌّ صلتٌ يظلُّ له لقَوْ مُ ركودًا قيامهم للهلال[٢]

فالممدوح يجمع بين الصفات المثلى التى يحبها العربى ، يصل الرحم ويفك الأسير العانى ، ويهين نفسه فى سبيل المجد وطيب الذكر إذا تصاولت الرماح وعلا الغبار ، ويجير إذا انقطع الحبل بالفقير المستغيث ؛ وهو قوى يسكن له النائر كأنهم ينظرون إلى الهلال . فالأعشى ذكر الشجاعة والكرم فى مدحه للأسود وأطال فى مدحه وفصّل حتى أدان له الرقاب ، وجعله يغزو كل عام ، ويصل الخيل بالخيل ، ويتدفق على حومة الوغى ، ويسقى الكتائب من كأس هجوم ويجير المستجير ؛ فهو فى هجماته يذهل الشيخ عن بنيه ، ويشرد الإبل فتوغل فى الرمال ويملك النواصى فى القتال ، ويواصل الحرب شتاء وربيعاً ، فيبعث الذل فى الأعداء ، ويعيد المجد إلى الأصدقاء ، ويحمل لواء الظفر والنصر .

ومدح حسان بن ثابت ملوك الغساسنة وأمراءهم ، ووصف نعيمهم وترفهم ، ورسم ما كانوا يلبسون ويرتدون ، وذكر ديارهم العامرة بالكرم والجمال ، فقال فيهم :

يَمْشُونَ فى الحُلَلِ المضَاعَف نسجُها مَشْىَ الجمال إلى الجمال البُزَّلِ[٣]

أولاد «جَفْنَة» عِنْدَ قَبْر أبيهمُ قبرِ ابن ماريةَ الكريم المُفْضِلِ[٤]

يُغْشَوْن حتّى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السَّواد المُقْبلِ[٥]

يَمْشُقُون مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهم «بَرَدَى» يصفّقُ بالرَّحيق السَّلْسَلِ[٦]

(١) حبل غرر : غير موثوق به .

(٢) الأريحية : الارتياح لفعل الندى والجود — صلت : ماض — ركود : لا يتحركون .

(٣) الحلل : ج حلة وهى الرداء — البزل : ج بازل وهو البعير إذا استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة .

(٤) جفنة : أبو ملوك غسان فى الشام .

(٥) يغشون : لا تخلو منازلهم من الأضياف .

(٦) البريص : نهر بدمشق ، وبردى نهر آخر فيها — يصفق : يمزج — الرحيق : الخمر البيضاء — السلسل : اللينة .